بكر الكنانية

وعلاقتها بقريش أثناء مواجهتها مع المسلمين

د . عبدالرحمن بن علي السنيدي
قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة:

يتضح لنا من دراسة التشكيلات القبلية المحيطة بمكة زمن البعثة النبوية أنّ من أبرز القبائل التي جاورت بعض بطونها مكة قبيلة بكر بن عبد مناة الكنانية، التي انتشرت فصائلها وفروعها بين مكة والمدينة وفي السفوح الغربية للسروات وفي المنخفضات الساحلية القريبة من مكة.

إن مجاورة هذه القبيلة بفروعها المختلفة لقريش وامتداد القبيلة الواسع وثقلها البشري في وسط الحجاز وسيطرة بعض فروعها على جزء من موارد المياه فيما بين مكة والمدينة من العوامل التي تجعل دراسة علاقاتها بقريش خاصة في زمن المواجهة مع المسلمين من الموضوعات المثرية للدراسات المتعلقة بمرحلة ظهور الإسلام ودراسات السيرة النبوية، وربما يزيد في أهمية الدراسة أنه ترد في سياق أحداث الغزوات النبوية وفيما يمس علاقات بكر الكنانية وقريش مواقف تحتاج إلى إيضاح وتفسير، وروايات ينقصها التحديد، ويشوبها النزوع إلى التعميم، ومن ذلك الروايات حول تخوف قريش من بكر قُبيل بدر، إذ تدخل تلك الروايات في تناقض ظاهر مع الروايات التي تشير إلى مشاركة زعماء من بكر في الغزوات إلى جانب قريش، كما أن تحالف قريش وبكر - كما في الروايات التي جاءت في سياق أحداث الحديبية - مما يجعل القارئ يتساءل عما إذا كان ذلك التخوف السابق من بكر (الكنانية) قد تمت إزالته أم أن هناك جوانب تحيط بالموقفين: التخوف، والتحالف، لا بد من إيضاحها.

ومما تقوم به هذه الدراسة إعادة قراءة هذه الروايات، وإيضاح ملابسات الأحداث التي تسوقها.

هذا وقد اقتضت خطة البحث تقسيمه إلى العناصر الآتية:

بكر الكنانية فروعها ومنازلها. العلاقات بين بكر الكنانية وقريش قبل ظهور الإسلام. العلاقات بين بكر وقريش في ظل المواجهة بين المسلمين وقريش، ويندرج في إطار هذا العنصر الفقرات التالية: قريش وبكر الكنانية بين التخوف والتحالف، ممن تخوفت قريش قبل بدر ؟ البكريون المتحالفون مع قريش، تضاؤل نفوذ قريش بين قبائل بكر غير المحالفة لها.

بكر الكنانية فروعها ومنازلها:

تنتمي قبائل بكر بن عبد مناة إلى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر(١). ومعلوم أنه يشترك مع بكر بن عبد مناة في الانتساب إلى كنانة قبائل كثيرة، أبرزها قريش، وبنو الحارث بن عبد مناة ؛ شركاء قريش في حلف الأحابيش (٢)، وبنو مدلج بن مرة بن عبد مناة، وبنو مالك بن كنانة (٣).

وبناءً على ما يذكره النسَّابون فإنَّ بكر بن عبد مناة تضم الفروع القبلية الآتية: ليث، والدُّئل (٤)، وعريج، وضمرة التي من بطونها الرئيسة قبيلة غفار(٥).

وإذا كانت قريش واسطة عقد القبائل الكنانية قد استقرت بمكة، فإن

---

(١) انظر الطبري: تاريخه، ٢/٢٦٨، ويذكر ابن الأثير أنه إذا قيل في النسب: كنانيّ فهم ولد كنانه بن خزيمة غير النضر الذي تنتسب إليه قريش. اللباب في تهذيب الانساب، ٣/١١٢.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، جـ١، ص ٣٩٥، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١٨٨.

(٣) ابن حزم: المصدر نفسه، ص ١٨٨، وانظر: ياقوت: المقتضب من كتاب جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، ص ٨٢ - ٨٣، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٣ / ٣٣٩.

(٤) انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١٨٤، قال ابن قتيبة: «الدول في حنيفة، والديل في عبد القيس، والدؤل بالهمز في كنانة». انظر أبو بكر الحازمي الهمداني: عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، ص ٦٠، وقال ابن الأثير: «كان محمد بن إسحاق والكسائي وأبو عبيد ومحمد بن حبيب يقولون في كنانة بن خزيمة الدِّيْلي - بكسر الدال وسكون الياء - بن بكر بن عبد مناة». اللباب في تهذيب الأنساب، ١/٥١٥ وقد ورد عند ابن إسحاق بنو الديل والدئل، انظر ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، جـ ١، ص ٥١، جـ٤، ص ٣, ٤، وانظر آراءً أخرى عند ابن دريد: الاشتقاق ص ١٧٠.

(٥) انظر: ابن حزم: المصدر السابق، ص ١٨٠، ١٨٦، ياقوت، المصدر السابق، ص ٨٦، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ١٧٠.

بقية تلك القبائل كان لها مواقع حول مكة، ومنازل في السفوح الغربية لجبال السروات فيما بين مكة والمدينة وفي أرض تهامة الحجاز(٦). وضمن نطاق ديار كنانة كان لقبيلة بكر بن عبد مناة منازلها وأمكنتها التي يجري الاستقرار بها أو الرحيل عنها تبعاً للظروف المحيطة بهذه الأمكنة كأي قبيلة تعيش حياة التنقل والتجوال، فظروف المناخ والمكان تحدد البقاء في هذا المكان أو ذاك أو الانتقال عنه، فالجفاف والجدب مما يدفع القبيلة إلى الرحيل، وهطول الأمطار وإخصاب الأرض مما يحفز القبيلة على الانتقال إلى حيث خصب المكان وتوفر الماء، كما أنَّ عوامل الصراعات والمنافسات بين الفصائل لها أثرها في تنقل هذه الفصائل وارتحالها..

ويأتي من أبرز المنازل التي سكنتها بطون القبيلة وفروعها ما يلي:

- الأَبْوَاءُ(٧).
- الأُثَيِّل(٨).
- إِحْلِيل(٩).
- الأَطواء(١٠).
- أَمَج(١١).

---

(٦) يحدد عاتق البلادي ديار كنانة بأنها من وراء حُلي إلى واد الصفراء وينبع شمالاً. معالم مكة التاريخية والأثرية، ص ٤٨، ويذكر صالح أحمد العلي أن ديار كنانة هي المنخفضات الساحلية القريبة من مكة، وتمتد إلى السواحل الواقعة في الجنوب الغربي منها... إلخ. ويلحظ على هذا التحديد، اقتصاره على جزء من ديار كنانة، وربما قصد ديار بعض البطون التي تنتسب إلى كنانة، يظهر ذلك في قوله: «.. فهي - أي كنانة - تخالط ضمرة وغفار». وحديثة قبل ذلك عن ديار ضمرة وغفار ثم ليث وهي قبائل بكرية كنانية. انظر: الحجاز في صدر الإسلام دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٧) جاء في بعض المصادر أن الصعب بن جثامة الليثي كان ينزل ودان والأبواء.

ابن الأثير: أسد الغابة ١٩/٣، وممن نزل الأبواء من بني بكر بن عبد مناة، بنو ضمرة الذين وادعهم رسول الله ﷺ في غزوة الأبواء، انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٢، ص ٨، ياقوت: معجم البلدان ٧٩/١.

(٨) موضع لبني ضمر، قرب بدر (انظر: ياقوت: المصدر نفسه ٩٤/١).

(٩) اسم واد في بلاد كنانة لبني نفاثة (من الديل). ياقوت: المصدر نفسه ١١٦/١.

(١٠) ماء لبني عبد بن عدي من الديل (السكري: شرح أشعار الهذليين ٣١١/١) ويقع على بعد ٨٠ كيلاً جنوب غرب مكة. البلادي: معالم مكة التاريخية والأثرية. ص ٢٧ - ٢٨.

(١١) ماء لبني ليث بن بكر، البكري: معجم ما استعجم ٣١٥/١. ويذكر البلادي أنه واد زراعي يعرف اليوم بخليص على مائة كيل من مكة شمالاً. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٣٢.

- بَعَال(١٢).
- تضْرُع(١٣).
- التَّلاعَة(١٤).
- ثَافِل الأكبر والأصغر(١٥).
- دُفاق(١٦).
- رخَمة(١٧).
- سَرَوْعَة(١٨).
- الشراة(١٩).
- ضَجْنَان(٢٠).
- ظَرَاء(٢١).
- غَيْقَة(٢٢).

---

(١٢) أرض لبني غفار قرب عسفان، وقيل غير ذلك، راجع ياقوت: معجم البلدان، ٤٥٢/١.

(١٢) أرض لبني غفار قرب عسفان، وقيل غير ذلك، راجع ياقوت: معجم البلدان، ٤٥٢/١.

(١٣) جبل لبني الديل بن بكر، الزمخشري: الأمكنة والجبال والمياه، ص ١٤٧.

(١٤) من المواضع التي نزلها بنو نفاثة (من الديل) انظر الاصبهاني: الاغاني جـ ٢١، ص ١٦٩. قال البلادي: التلاعة وادٍ يقع جنوب مكة.. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٦٣.

(١٥) من مساكن بني ضمرة، عرام السلمي: أسماء جبال تهامة وسكانها، ص ١٠ – ١١.

(١٦) من منازل بنو نفاثة من الديل. انظر ياقوت: معجم البلدان ٥٩/٤.

(١٧) ماء لبني الدئل خاصة، ياقوت: معجم البلدان جـ٣، ص ٣٩، ويرى البلادي أنه يقع جنوب مكة على ٤٥ كيلاً، أسفل وادي البيضاء. معالم مكة التاريخية والأثرية، ص ١١٥.

(١٨) جبل لبني الديل بن بكر انظر: ياقوت: معجم البلدان ٢١٧/٣، وعند الزمخشري ماء بجبل يقال له: طفيل. الأمكنة والجبال والمياه، ص ١٠٣.

(١٩) جبل شامخ مرتفع في السماء دون عُسفان وهو لبني ليث (بن بكر) خاصة ولبني ظفر بن سليم، ياقوت، المصدر السابق ٤٥٢/١.

(٢٠) من منازل بني بكر بن كنانة وكان بها أحد سادات القبيلة وهو عامر بن يزيد، ابن حبيب: المنمق، ص ١٣١، وهي حرة مستطيلة تبعد من مكة ٥٤ كيلا على الطريق إلى المدينة. محمد محمد شُراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ١٦٦.

(٢١) من المواضع التي رحل إليها بنو نفاثة بن عدي بن الدئل. انظر: ياقوت: معجم البلدان ٥٩/٤.

(٢٢) هي منزل سيد غفار « إيماء بن رحضة » انظر: ابن الأثير: أسد الغابة ١١٨/٢، انظر حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٢٠٤، البلادي: معجم معالم الحجاز ٢٧٥/٦.

ـ الكَدِيد(٢٣).
ـ كُرَاش(٢٤).
ـ كُرَاعُ الغَمِيْم(٢٥).
ـ كُلَيَّة(٢٦).
ـ مَجَنَّة(٢٧).
ـ المُحْدَث(٢٨).
ـ المَنْصحَية(٢٩).
ـ المُشَلَّل(٣٠).
ـ الهَدَة(٣١).

---

(٢٣) من منازل بني الملوح وهم من ليث بن بكر. انظر: ابن هشام: سيرة النبي ٤/٤، وابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢ /١٢٤. ويعرف اليوم باسم (الحمض) على مسافة ٩٠ كيلاً من مكة على طريق المدينة. انظر: محمد شُراب: المعالم الأثيرة، ص ٢٣١.

(٢٤) جبل في ديار بني الدئل.. البكري: معجم ما استعجم ١١٢٢/٤، وذكر ياقوت أنه اسم جبل لهذيل. معجم البلدان، جـ٤ ، ص ٤٤٣، وجعله البلادي من المواضع الواقعة في ديار بني ضمرة، معجم معالم الحجاز، جـ ٧، ص ٢١٢.

(٢٥) يذكر ابن الأثير أن بشر بن سحيم الغفاري، كان ينزل كراع الغميم. أسد الغابة ١٨٦/1. وقد جاء في الأغاني ما يفيد أن بني ليث بن بكر قد تعرضوا لغارة وهم بصحراء الغميم انظر أبو الفرج الأصبهاني: المصدر السابق، ج٢٢، ص ٧٢. ويبعد كراع الغميم عن مكة ٦٤ كيلاً على طريق المدينة، للمزيد من المعلومات راجع: البلادي معالم مكة التاريخية والأثرية، ص ٢٥.

(٢٦) ماء لبني ضمرة. انظر: البكري: معجم ما استعجم (٩٥٦/٣، ١١٣٤)، وهي بين مكة والمدينة أو واد قرب الجحفة (انظر محمد محمد شراب: المعالم الأثيرة، ص ٢٣٢).

(٢٧) ماء لبني الدئل بتهامة. الزمخشري: الأمكنة، ص ٥٠، قال الأصمعي: مجنة جبل لبني الدئل خاص بتهامة بجنب طفيل وإياه أراد بلال فيما كان يتمثل:

وهل أرِدَنْ يوماً مياه مَجَنَّة   وهل يبدونْ لي شَامة وطَفِيل

راجع عن مَجَنَّة وتحديد موقعها الحالي، البلادي: معالم مكة التاريخية والأثرية، ص ٢٤٥ – ٢٤٧.

(٢٨) ماء لبني الدئل، الزمخشري: الأمكنة، ص ٦٣، ياقوت: معجم البلدان ٦٠/٥.

(٢٩) ماء لبني الدئل، ياقوت: المصدر السابق، ٢١١/٥.

يلحظ أنها عند الزمخشري (المنصية). ولعله تحريف (للمنصحية) انظر: الزمخشري: الأمكنة: ص ٢١٠.

(٣٠) المشلل: من منازل بني ليث حيث نزل بنو ليث المشلل في إحدى المراحل من تاريخ القبيلة، انظر: ابن حبيب: المنمق، ص ١١٧، والمشلل ثنيه أسفل قديد من الشمال. انظر البلادي: معجم المعالم الجغرافية، ص ٢٩٨.

(٣١) تقع على سبعة أميال من عسفان وسكانها بني ضمرة وناس من خزاعة، انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١٣/٢.

- وَدّانُ(٣٢).
- وَصِيق(٣٣).

وعند النظر في هذه المنازل والديار التي استقر بها البكريون تظهر لنا مجموعة من الحقائق الجغرافية والتاريخية، أبرزها ما يلي:

١ - انتشرت قبائل بكر بن عبدمناة بن كنانة بين مكة والمدينة وعلى مقربة من ساحل تهامة الحجاز، وفي السفوح الغربية لجبال السروات، وجاورتها قبائل هذيل وسليم وخزاعة، ومنها بني المصطلق وأسلم، بالإضافة إلى القبائل الكنانية الأخرى، مثل مُدلِج، وبني الحارث بن عبد مناة.. وغيرها من القبائل، ولا يخفى أن وجود مجموعة من القبائل في هذه المنطقة حال دون أن يميل ميزان القوى القبلي لصالح قبيلة معينة مما كان مبعث اطمئنان قريش.

٢ - يظهر من تتبع حركة القبائل البكرية أثناء ظهور الإسلام أن ضمرة وفرعها الرئيس غفار نزلت في المنطقة الواقعة جنوب غرب المدينة، ففي ودَّان وادع النبي ص بني ضمرة ورئيسهم مخشي بن عمرو(٣٤)، وفي رواية ابن إسحاق أنه ص لما سار إلى بدر استقبل الصفراء وهي قرية بين جبيلين، فسأل عن جَبَلَيها: ما أسماؤهما؟ فقالوا: يقال لأحدهما: هذا مُسلِح، وقالوا للآخر: هذا مُخرِئ. وسأل عن أهلهما، فقيل: بنو النار وبنو حُرَّاق.. من.. غفار(٣٥). وأما ليث فلها منازل شمال مكة مثل: ضجنان(٣٦) والكديد(٣٧) وجبل الشَّراة (٣٨)، وقد نزل بعض أشرافهم الأبواء(٣٩)، أما بني الدؤل بن بكر فنجد أن مواطنهم الأساسية

---

(٣٢) يذكر ياقوت أنها من (منازل غفار وضمرة وكنانة). والمعلوم أن غفار جزء من قبيلة ضمرة البكرية الكنانية، انظر معجم البلدان ٣٦٥/٥، ويفهم مما ذكره عرام السلمي أن لفهر قزيش وجودًا بها: أسماء جبال تهامة وسكانها، ص ٣١.

(٣٣) جبل نزل به قوم من بني عبد من عدي بن الدئل، الأصفهاني: بلاد العرب، ص ٢٠.

(٣٤) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٢٢٤/٢.

(٣٥) ابن هشام: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٥٣.

(٣٦) انظر: ابن هشام: المصدر السابق ٢٤٨/٢، ابن حبيب: المنمق، ص ١٣١، وقد ذكر أنها منازل بني بكر بن كنانه وسيدها عامر بن يزيد.

(٣٧) هو منزل لبني الملوح من ليث، انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٢٤/٢.

(٣٨) ياقوت: معجم البلدان، جـ ٣، ص ٣٣١.

(٣٩) انظر: ابن الأثير: أسد الغابة، جـ ٣، ص ١٩، وانظر تحديد صالح العلي لديار ضمرة وليث الحجاز في صدر الإسلام، ص ١٨٥ - ١٨٦.

تتركز في جنوب غرب مكة، مثل: التلاعة (٤٠)، والأطواء(٤١)، وكذلك سروعة وجبل ضاف، ولهم قرية ذهبان شمال جدة (٤٢).

٣ - أن بعض منازل القبيلة قريبة من محطات القوافل المكية والمرافئ الواقعة على الساحل ؛ مما يوضح لنا أهمية المواقع التي انتشر فيها البكريون.

٤ - وهذه المنازل التي انتشر فيها البكريون لم تكن ذات طبيعة جغرافية متماثلة، فالمتمعن في منازل القبيلة يلمس اختلاف طبيعتها الجغرافية؛ فهناك مراكز حضرية صغيرة بقرب الأودية وفي السهول، وهناك معاقل جبلية استوطنتها بعض الفصائل، ولعل المراكز الحضرية الصغيرة ضمت جانباً من أشراف القبيلة أولئك الذين كان لديهم علاقات وصلات مع أهم مدينتين في إقليم الحجاز: مكة والمدينة، وضمت المعاقل الجبلية طبقة الضعفاء والمتمردين على النظام الاجتماعي ممن كانوا ينضمون إلى جماعات الخلعاء والصعاليك. فيظهر أن الواحات ضمت بعض أشراف الفصائل البكرية كضمرة وفصيلها الرئيس غفار وليث، فالمتأمل في كتب المغازي والتراجم يلحظ أن مجموعة من الأشراف قد استوطنت في منطقة واحدة، هي: ودان، والأبواء، ومن هؤلاء الأشراف مخشي بن عمرو الضمري (٤٣)، والصعب بن جثامة الليثي (٤٤)، وأيْمَاء بن رَحَضة الغفاري (٤٥). وهذا لا يعني أنّ طبقة الأشراف داخل قبيلة بكر استوطنت مواضع مُحَدَّدة، ومن ثم أضحت بقية الطبقات بلا قيادة، فهناك قيادات متناثرة لكل من فصائل القبيلة تصحبها في نزولها وارتحالها.

---

(٤٠) انظر: أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، جـ٢١، ص ١٦٩، البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٦٣.

(٤١) انظر: السكري: شرح أشعار الهذليين، جـ ١، ص ٣١١.

(٤٢) البلادي: معالم مكة التاريخية والأثرية، ص ٢٤٧، انظر: معجم قبائل الحجاز للمؤلف نفسه، جـ ١ /١٤٧.

(٤٣) انظر: ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٢/٢٢٤.

(٤٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى، جـ ٢، ص ٨.

(٤٥) الواقدي: المغازي، جـ٢، ص ٥٧٧.

العلاقات بين بكر الكنانية وقريش قبل ظهور الإسلام:

تحرص معظم القبائل العربية على أن يكون لعلاقتها بمكة وضعية خاصة، بحكم مركزها الديني والتجاري، ويفترض أن يكون لعلاقات النسب بين بكر وقريش ؛ إذ ينتميان إلى كنانة، وكذا علاقات المجاورة أثرها الإيجابي على العلاقات بين القبيلتين، لكن الواقع التاريخي للعلاقات بين بكر الكنانية وقريش جاء مغايراً لما هو مطلوب ومفترض، وذلك في أغلب الفترات.

فالمستعرض لمسار العلاقات بين قريش وبكر بن عبد مناة بن كنانة منذ أن ثَبَّت قصي بن كلاب أقدامه في مكة، وأنزل بطون قريش فيها .. يلحظ أنَّ العلاقات شابها نوع من التوتر وعدم الثقة بين الطرفين، بل لقد وصل الأمر إلى مواجهات حادة بين الطرفين.. كما في معركة « ذات نكيف»⁽⁴٦⁾.

تذكر بعض المصادر أنّ بكر الكنانية وخزاعة وقفت ضد قصي بن كلاب في محاولته الناجحة السيطرة على مكة، وأدى ذلك إلى وقوع الحرب بين الطرفين، وهي حرب انتهت بالصلح بوساطة التحكيم على يد أحد سادات بكر، وهو يَعْمُر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر المسمى بالشَّدَّاخ، والذي يحتمل أن يكون محايداً في هذا الصراع، معتزلاً لها، وإلا لو كان مشاركاً فيها لما قبلت قريش التحاكم إليه⁽٤٧⁾. وقد ذكر الأزرقي أن بني بكر قد اعتزلوا حرب قريش وخزاعة⁽٤٨⁾، وربما كان مقصوده ذلك الفصيل الذي ينتمي إليه يعمر بن عوف (الشدَّاخ)، وتبين بعض المصادر أن حكم الشداخ تضمن أن يكون أمر مكة والكعبة بيدي قصي، وأن ما أصابه قصي من خزاعة ومن حالفها يَشْدَخُه تحت قدميه ؛ يعني أنه باطل لا دية فيه، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مُؤَدَّاة ⁽٤٩⁾.

وثمة أحداث تبين استمرار التباعد وعدم الثقة بين الطرفين. ومن ذلك

---

(٤٦) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥٨٧/١. ونكيف: موضع من ناحية يلملم من نواحي مكة. راجع ياقوت: معجم البلدان، ٣٠٣/٥.

(٤٧) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ١٣٦/١.

(٤٨) اخبار مكة: ١٠٦/١ وانظر الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ١٠٩/٢.

(٤٩) ابن هشام: المصدر السابق، ١٣٦/١.

أن بكر الكنانية ظلت خارج العقائد القرشية الموسومة بعقائد الحمس، إذ يعدُّ ابن حبيب بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحلة بخلاف قبائل كنانة الأخرى كبني الحارث وعامر وبني مدلج (٥٠)، وكانت بعض القبائل البكرية تحل الشهر الحرام (٥١)، مما يُعد خروجاً على التنظيمات القرشية الموضوعة لضمان الأمن في الطرق والأسواق. كذلك أيضاً فإن القبيلة مع كنانيتها لم تكن ضمن تحالف الأحابيش الذي حالفت فيه قريش مجموعة من القبائل المجاورة لمكة، من أبرزها بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمة، وبنو المصطلق من خزاعة (٥٢).

ويفهم من بعض المصادر أن ذلك التحالف موجه ضد بكر بن عبد مناة(٥٣)، التي يبدو أنها تميزت بعددها الوفير(٥٤)، بالإضافة إلى أن بعض قادة القبيلة تختزن في نفوسهم ذكريات مريرة مشبعة بالعداء تجاه قريش، وهذا ما يوضحه ابن الأثير عندما يذكر أن بني بكر بن عبد مناة كانوا مبغضين لقريش مضطغنين عليهم ؛ لما كان من قصي حين أخرجهم من مكة مع من أخرج من خزاعة حين قسمها رباعاً وخططاً بين قريش(٥٥).

ويبدو أن التطور الاقتصادي والإداري الذي تم في مكة بعد سيادة قريش عليها وإحراز زعماء قريش الثروات والأموال، جعل بكر بن كنانة تتحسر على الماضي عندما كانت في مكة، وتشعر بالاستياء والغبن جراء نجاح قريش في إدارة البلدة المقدسة وتحقيق تفوق في المستوى المعيشي بينها وبين القبائل النازلة حول مكة ومنها بكر، التي انتاب جزءاً من زعمائها ذلك الشعور الذي أشار إليه ابن الأثير. وأبرز ما تذكره المصادر

---

(٥٠) المحبر، ص ١٧٩، ١٧٨.

(٥١) هم غفار. انظر مسلم: صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، ١٩١٩/٤. ويذكر اليعقوبي أن من العرب قومًا يَسْتَحِلون المظالم إذا حضروا الأسواق سموا المُحلِّين، ثم يذكر منهم قبائل من أسد وطيئ وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة، تاريخ اليعقوبي، ٢٧٠/١ - ٢٧١.

(٥٢) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٣٩٥/١، وانظر ابن حبيب: المنمق، ص ٢٢٩، إذ يذكر من قبائل حلف الأحابيش الحيابن سعد بن عمرو وسموا بالأحابيش لتحالفهم بحبل « حبشي » وهو من مكة مسافة عشرة أميال من ناحية الرمضة، انظر المصدر نفسه، ص ٢٣١، ويذكر محمد محمد شُراب أنه يقع جنوب مِسّفلة مكة على نحو عشر أكيال. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ٩٦.

(٥٣) المصدر نفسه: ص ٢٢٩.

(٥٤) انظر: المصدر نفسه، ص ١١٥، إذ يشير إلى كثرة عدد بكر في مقابل قريش.

(٥٥) الكامل في التاريخ: ٥٨٧/١.

التاريخية من المواجهات المكشوفة بين قريش وحلفائها وبكر بن كنانة، هي حرب ذات نكيف(٥٦).

يذكر ابن حبيب أن سببها هو مطالبة قريش بلعاء بن قيس قائد بكر بن عبد مناة أن يُسَلِّم أخاه قتادة بن قيس بعد أن اعتدى على إبل عواف القارِّي، حليف هشام بن المغيرة المخزومي والعاص ابن وائل، وقتل ابنه، ولقد رفض بلعاء بن قيس أن يسلم أخاه. وإزاء ذلك الرفض وقعت الحرب بين قريش وبكر بن عبد مناة في ذات نكيف من ناحية يلملم، وهي حرب أسفرت عن هزيمة بكر حتى دخلت الحرم، فأخْرِجت منه ومن تهامة(٥٧).

ويذكر ابن الأثير أنَّ سبب وقوع يوم ذات نكيف أن بكر همت بإخراج قريش من مكة، وأنها اعتدت على نعم لبني الهون بن خزيمة (شركاء قريش في حلف الأحابيش) (٥٨).

على أي حال بعد هذه الوقعة يذكر ابن حبيب أن بني ليث الفيصل الرئيس في بكر بن عبد مناة أُخْرِجوا من تهامة ؛ أي تهامة الحجاز، فحالفوا طفيل بن جعفر العامري، وَأقاموا في بني عامر ثلاث سنوات، ثم رجعوا إلى المشلل..، وقد حاول جمع من قريش والاحابيش طردهم من المُشَلَّل، إلا أن ذلك الجمع فشل في تحقيق مسعاه (٥٩).

ومن الحوادث التي يذكر ابن حبيب في معرض سرده للصراعات بين قريش وبكر بن عبد مناة إغارة عمرو بن عبد العزى بن البياع الليثي على

---

(٥٦) راجع: ياقوت: معجم البلدان ٣٠٣/٥.

(٥٧) ابن حبيب: المنمق: ص ١١٦.

(٥٨) الكامل في التاريخ: ٥٨٧/١. وتختلف رواية ابن الأثير وياقوت عن رواية ابن حبيب فيمن كان يقود قريش في تلك الموقعة، إذ يرد عند ابن الأثير وياقوت أن عبد المطلب جد رسول الله ﷺ هو قائد قريش في تلك الموقعة، في حين يذكر ابن حبيب أنه المطلب بن عبد مناف، وجاء في المحبر أنه قاد ألفاً من بني عبد مناف وأحلافها من الأحابيش.. لحرب بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ويذكر الأزرقي أن حرب بن أمية قاد الناس في ذات نكيف ضد بكر بن عبد مناة بن كنانة. والذي يبدو أن الحادثة مواكبة لعهد عبد المطلب بن هاشم، فالشخصيات التي أسهمت في الحرب كما عند ابن حبيب في المنمق (مثل: العاص بن وائل وحرب بن أمية وبلعاء بن قيس) إن لم تكن معاصرة لعبد المطلب فهي من الجيل الذي جاء بعده. وعلى هذا فيحتمل أن تكون القيادة بيد عبد المطلب، ويحتمل أن تكون بيد حرب بن أمية الذي تقضي تقاليد قريش التاريخية بأن يحمل رايه قريش. يراجع: ابن الأثير: المصدر نفسه جـ١، ص ٥٨٧، ابن حبيب، المنمق، ص ١١٦، المحبر، ص ٢٤٦، الأزرقي: أخبار مكة، ١١٥/١.

(٥٩) المنمق، ص ١١٤ - ١١٩ .

مكة في شهر حرام، حيث قتل رجلين من بني عبد شمس(٦٠).

ويذكر البكري أن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي كان صادراً من سفر في رهط من قريش، ولما أتى كُلَيَّة وجد عليها حاضراً عظيماً من بكر، فمنعوهم الماء إلا بالثمن، فحمل عليهم خويلد بمن معه، فانهزم بنو بكر(٦١).

وجاءت حرب الفجار قبل البعثة النبوية لتوفر الفرصة لتوحيد قبائل كنانة كلها، إذ نَشَبت هذه الحرب بسبب مقتل عروة الرحال - أحد زعماء بني عامر بن صعصعة، إحدى قبائل هوازان - على يد البَرَّاض بن قيس الضمري البكري(٦٢)، حليف حرب بن أمية(٦٣). وبصرف النظر عن الدوافع الكامنة وراء قتل البراض لعروة الرحال وما إذا كان ذلك بتواطئ مسبق من زعماء قريش الذين ربما كان يسوؤهم أن تسيِّر الحيرة قوافل تجارية عبر الجزيرة(٦٤)، بصرف النظر عن ذلك، فقد أصبحت كنانة بإزاء مواجهة مع قبائل قيس عيلان، حيث تجمعت كنانة تحت قيادة حرب بن أمية بن عبد شمس(٦٥)، وشاركت بكر بن عبد مناة إلى جانب قريش في هذا التجمع، في خطوة أملتها التحديات المشتركة، يزيد على ذلك أَنَّ النعمان بن المنذر الذي أجار عروة الرحال قافلته كان قد قتل أخًا لبلعاء بن قيس قائد بكر(٦٦)، ومع مشاركة بكر في هذه الحرب... إلاَّ أَنَّ الأحداث كشفت عن سَلْبيتها وتخاذلها ؛ فإنَّ زعيمها بلعاء بن قيس اعتزل الحرب في إحدى مَراحلها، وقال لقومه: « دعوا قريشاً أبعد الله، فوالله.. لا يفلت منهم أحد»؛ لهذا يقول حكيم بن حزام - رضي الله عنه -: «شهدت عكاظ فبنو بكر كانوا أشد علينا من قيس ؛ انكشفوا علينا، وتركونا»(٦٧).

ومع مرور الزمن ارتسمت في أذهان القرشيين صورة سلبية لعلها شملت معظم البكريين، فهم عند أبرز زعماء قريش المتأخرين « أهل شؤم»(٦٨)، وفي

---

(٦٠) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(٦١) معجم ما استعجم ١١٣٤/٤.

(٦٢) انظر: ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ١٩٨/١ - ٢٠٠، ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١٦٤ - ١٦٦.

(٦٣) ابن سعيد الأندلسي: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ٣٨٠/١.

(٦٤) انظر: فكتور سحاب: إيلاف قريش، ص ٣١١.

(٦٥) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ ٢٠١/١.

(٦٦) ابن حبيب: المحبر، ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٦٧) ابن حبيب: المنمق، ص ١٧٨.

(٦٨) الواقدي: المغازي، ٢ / ٦١٢، ٣ / ٨٢٠.

النصوص الشعرية « غواة »(٦٩) و « قوم أظنه يعضون غيظاً خَلْفَنَا بالأَنَامِلِ»(٧٠). وقد ورد في التحذير منهم: « أخوك البكري ولا تأمنه»(٧١). ولعل هذه النظرة الحذرة تأصلت عند كثير من القرشيين بسبب مواقف بعض الفصائل البكرية تجاه قريش، وعززها ما عُرف عن بعض تلك الفصائل من استحلال للمظالم إذا حضر العرب الأسواق(٧٢) وسرقةٍ للحجيج(٧٣).

يمكن القول: إن تلك الصورة السلبية التي ارتسمت في أذهان القرشيين مما حال بين جزء من تلك القبيلة والتمتع بعلاقات جيدة مع قريش، يضاف إلى ذلك أنّ زعماء بكر المشهورين ممن اصطدموا بقريش لم يرتقوا إلى مستوى من الحكمة والتعقل يجعل قريشاً تثق بهم، حيث لازمت الطبيعة العدوانية والممارسات الفوضوية قصيرة النظر زعماء مثل بلعاء بن قيس الذي وصف بأنَّه كان يكثر محاربة الرجال(٧٤)، وقد تعرض للطائم التي كان النعمان يرسلها إلى تهامة(٧٥)، وعامر بن يزيد الذي وقف محرِّضا قومه على سفك دم أحد بني عامر بن لؤي(٧٦) كما سيمر بنا ؛ ولذلك فلا عجب أن تظل بكر بن عبد مناة وهي القبيلة الكنانية خارج تحالفات قريش وشعائرها الأحمسية، ربما لأن الاتجاهات غير الواعية كانت لها الغلبة داخل معظم فصائل هذه القبيلة عندما كانت قريش تعقد تلك التحالفات وتضع تلك الطقوس والآراء. لكن زعماء قريش - خاصة حرب بن أمية - حاولوا استمالة بعض الأفراد أو الفصائل من داخل قبيلة

---

(٦٩) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ ١/١٩٠، جاءت هذه العبارة في أبيات لحذيفة بن غانم العدوي يرثي عبد المطلب ويمدح بني عبد مناف. ومما قال:

وهم جمعوا حلف الأحابيش كلها   وهم نكلوا عنا غواة بني بكر

(٧٠) انظر: ابن هشام: المصدر السابق، ١/٢٨٦، ٢٩٩، إذ ذكر ابن إسحاق أنّ المقصود هم بنو بكر بن عبد مناة.

(٧١) أبو داود: السنن، ٤/٢٦٦.

(٧٢) انظر اليعقوبي: تاريخه، ١/٢٧١.

(٧٣) انظر: ابن هشام: سيرة النبي ﷺ ٤/٤، وقد عرف عن بعض القبائل البكرية كغفار أنهم أهل سلة في الجاهلية ؛ أي سرقة، انظر: البيهقي: دلائل النبوة، ٣ / ١٩٤، قال ابن التين: إنَّ بني غفار كانوا يسرقون الحاج في الجاهلية فدعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلموا ليمحي اللّه عنهم ذلك العار. انظر ابن حجر: فتح الباري، ٦/٥٤٤.

(٧٤) ابن حبيب: المنمق، ص ١١٩.

(٧٥) ابن حبيب: المحبر، ص ١٩٥ - ١٩٦، اليعقوبي: تاريخه، ٢/١٥.

(٧٦) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٢/٢٤٩.

بكر بغية الحد من النزعات الطائشة في القبيلة التي تقطن مناطق ذات أهمية حيوية لمكة، تجلى ذلك في تحالف حرب بن أمية مع بني نفاثة (٧٧)، وهم من الديل بن بكر، وزواج جثامة بن قيس أحد زعماء بني بكر من زينب بنت حرب بن أمية(٧٨)، وزواج أبَي بن خلف الجمحي القرشي من هريرة بنت المُحَجل بن قيس الليثية(٧٩)، ولعل قدراً من الاطمئنان لبعض الأحياء والأسر البَكرية قد توفر لدى القرشيين جراء هذه المحالفات والمصاهرات. وبهذا يمكن تفسير دفع بعض الأسر القرشية أبناءها للمرضعات من بني ليث، مثل المغيرة بن عبد الله المخزومي(٨٠) وابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب(٨١).

إن مما يُملي على مكة استمالة بعض البطون والأشراف داخل قبيلة بكر بن عبد مناة الكنانية أنَّ قوافل قريش التجارية تمر بالقرب من بعض منازل القبيلة، إذ يقع بعضها في طريق تجارة مكة مع الشام، وبعضها الآخر في طريق تجارة مكة مع الطائف وجنوب الجزيرة العربية. كما أَنَّ منازل ضمرة تقع قريباً من ميناء الجار(٨٢)، في حين يجاور بنو ليث وبنو الديل ميناء الشعيبة(٨٣) وجدة(٨٤). كما أن منازل بعض الفصائل البكرية

---

(٧٧) انظر: ياقوت: معجم البلدان ١٨٤/٥. وكأنَّ ابن حبيب ضَعَّفَ هذه المعلومة، إذ جاء في المنمق: «وكانت بنو نفاثة - فيما يقال - حلفاء لحرب بن أمية». ص ٢٦٥، وقد روى الذهبي في المغازي أن أبا سفيان بن حرب كان حليفاً لبني نفاثة . وربما كان ذلك استمراراً لتحالف والده - أميه بن حرب - مع ذلك الحي من بني الديل. انظر الذهبي: تاريخ الإسلام - المغازي، تحقيق: محمد محمود حمدان، ص ٤٤١.

(٧٨) ابن الأثير: أسد الغابة، ١٩/٣.

(٧٩) مصعب الزبيري: نسب قريش، ص ٣٩٢.

(٨٠) انظر البلاذري: أنساب الأشراف، سائر فروع قريش، القسم الخامس، ص ٢٣٥.

(٨١) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٤ / ٢٧٥. وكان ابن ربيعة بن الحارث مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل، وهو الذي عناه رسول الله ﷺ في خطبته بحجة الوداع بقوله: « وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب..».

(٨٢) انظر: حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٢٠٢، ٢٠٧ - ٢١١. ومن مياه بني ضمرة ذات السُّليم قرب الجار، المصدر نفسه، ٢٠٢.

(٨٣) انظر: الأزرقي: أخبار مكة ١٥٧/١.

(٨٤) ورد في بعض مصادر السيرة الإشارة إلى جدة بوصفها ميناءً ومنفذًا على البحر في العهد النبوي، انظر: ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٢٠٩/١، ٣٨/٤. ويرى عبد القدوس الأنصاري أن جدة كانت ميناء مكة الوحيد قبل الشعيبة ثم نقل المرفأ إلى الشعيبة، بناحية الجنوب ؛ لأنه يكون بذلك أقرب إلى بلاد اليمن شحنًا وتفريغاً، ومن ثم هاجر سكان جدة إليها بالتدريج، ثم أمر عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بنقل الميناء من الشعيبة إلى جدة. انظر: موسوعة تاريخ مدينة جدة، جـ١، ط٤، دار مصر للطباعة (د، ت) ص ٦٠ -٦١.

قريبة من طرق الحاج والأسواق الموسمية التي تواكب نسك الحج، ومنها مجنة وذو المجاز(٨٥) وبدر(٨٦). ومعلوم أن أمن الحجيج والأسواق مما يهم الزعامة المكية.

لقد كانت قريش تخشى من اضطراب الأمن على طرقها وتخشى أشد الخشية من توتر علاقاتها ببعض المراكز المهمة، فعند إجراء عقوبة ما على بعض الأفراد غير القرشيين كان مما يؤخذ بعين الاعتبار الموضع الذي جاء منه ذلك الرجل المُعاقَب. فعندما قال العباس بن عبد المطلب لقريش وهي تضّربُ أبا ذر الغفاري: «ويلكم أتقتلون رجلاً من غفار ومتجركم وممركم على غفار؟! أقلعوا عنه»(٨٧)، وعندما قال أبو سفيان لقريش وقد قدَّموا ثمامة بن أثال الحنفي ليقتل: «دعوه؛ فإنَّكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم» عندها تركوه، وأخلوا سبيله (٨٨).

وبالرغم من محاولات قريش استمالة بعض البطون والأشراف داخل قبيلة بكر بن عبد مناة، مع ذلك ظلت بعض الفصائل والتجمعات البكرية القريبة من مكة محتفظة بما في ذاكرتها من سخط تجاه قريش وما بينهما من توترات ماضية، يظهر ذلك جلياً في تحريض عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح - أحد سادات ضَجْنَان الواقعة شمال مكة (٨٩) - على قتل ابن حفص بن الأخيف العامري القرشي(٩٠) كما سوف يمر بنا.

العلاقات بين بكر وقريش في ظل المواجهة بين المسلمين وقريش:

في المرحلة المكية في الدعوة كانت مواجهة قريش للرسالة الإسلامية من الشؤون الداخلية الخاصة بمكة، وربما كانت القبائل الكنانية بزعاماتها وسدنة أوثانها ميَّالة إلى ما تقوله قريش عن الدعوة، بل ربما تفاعلت مع بعض المواقف القرشية من الدعوة، تجلى ذلك في المقاطعة

---

(٨٥) انظر ياقوت: معجم البلدان ٥/٥٥، ٥٨.

(٨٦) تعد بدر من أسواق العرب ومجامعهم. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٨٤.

(٨٧) انظر: البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المناقب، ٤ / ١٥٩.

(٨٨) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٤ / ٣١٦.

(٨٩) البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ١٨٣.

(٩٠) انظر ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٢/٢٤٨.

العامة لبني هاشم وبني المطلب، إذ ورد أن كنانة وقريشاً تحالفتا على بني هاشم وبني المطلب أنْ لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ (٩١). وقد أورد بعض الحفاظ ما يدل على أن قريشًا حالفوا بني بكر على بني هاشم أن لا يجالسوهم ولا يناكحوهم ولا يبايعوهم(٩٢) .. إلخ. إن النص على بكر هنا لم يذكره كتابُ السيرة المتقدمون - فيما أعلم - لكن إذا ثبت ذلك فلعل المراد بعض الأحياء البكرية النازلة قريبًا من مكة والمرتبطة مصلحياً ببعض زعماء قريش كبني نفاثة حلفاء حرب بن أمية وابنه أبي سفيان(٩٣)، وعلى أي حال فقد كان بين البكريين الموجودين في مكة سابقون إلى الإسلام كبني البكير الأربعة: خالد وعامر وعاقل وإياس(٩٤). وهناك بكريون استعين بخبرتهم فيما يهم الدعوة، وفي أدق المراحل من تاريخها، فهذا الديلي عبد الله بن أرقط أو (أرقد)(٩٥) يستأجره رسول الله ﷺ وأبو بكر- رضي الله عنه - ليدلهما على طريق آمن يسلكانه للهجرة إلى المدينة وقد كان على دين كفار قريش(٩٦). وبما أنه لم يرد في مرويات السيرة النبوية أن النبي ﷺ قد عرض نفسه على أيٍّ من فصائل بكر الكنانية من أجل أن تمنعه وتقوم بنصرته كما فعل ﷺ مع وفود كنده وحنيفة (٩٧) وشيبان (٩٨) وبني عبد الله وبني عامر (٩٩) وغيرهم من وفود القبائل التي تأتي إلى مكة أثناء موسم الحج ؛ فإن ذلك لا يَدل على أنَّ العلاقات بين قريش وبكر بمختلف فروعها كانت قد توثقت وَمنْ ثَمَّ لا يصبح مأمولاً من بكر بمختلف فروعها أن توفر المكان الآمن لنشر الرسالة الإسلامية، بل يدل ذلك على أن تلك القبائل البكرية بسبب

---

(٩١) انظر البخاري: الجامع الصحيح ١٥٨/٢. وذكر ابن حجر ما يُفهم منه أَنَّه يَغْلِب أن تكون الإشارة إلى تحالف قريش وكنانة من كلام الزهري. انظر فتح الباري ٤٥٣/٣.

(٩٢) البغوي: شرح السنة، ٦٤٥/٦.

(٩٣) انظر، ياقوت: ١٨٤/٥، الذهبي: تاريخ الإسلام - المغازي، ص ٤٤١.

(٩٤) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٢٧٣/١ - ٢٧٤.

(٩٥) ابن هشام: المصدر نفسه، ٩٨/٢. وعند الطبري: «عبد الله بن أرقد رجلاً من بني الديل بن بكر وكانت أمه امرأة من بني سهم ». تاريخ الأمم والملوك، ٣٧٨/٢ من رواية ابن حميد عن سلمه عن محمد بن إسحاق.

(٩٦) انظر: البخاري: الجامع الصحيح، ٤ / ٢٥٦.

(٩٧) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٣٢/٢.

(٩٨) البيهقي: دلائل النبوة، ٤٢٤/٢.

(٩٩) ابن هشام: المصدر السابق، ٣٣/٢.

تشرذمها واختلافها وطبيعتها الفوضوية غير مهيأة وغير قادرة على حماية الدعوة، كما أن منازل بعضها داخل ضمن دائرة النفوذ القرشي، ومعظمها منتجعات صغيرة غير دائمه لا يمكن عدها البيئة المناسبة المهيأة لأن تصبح نواة لدولة المواجهة القادمة مع المشركين، وعلى أي حال فقد أدى انتقال الدعوة إلى المدينة وما تبعه من تطورات إلى تأثر القبائل الكنانية بالصراع بين المسلمين وقريش...

فبعد الهجرة بدأت المواجهة بين المسلمين وقريش تسير في اتجاه الصراع الحربي والاشتباكات الدامية، وكانت البداية في صورة حملات جهادية غزوات أو سرايا وُجِّهت لقوافل قريش الذاهبة إلى الشام أو الآتية منه التي تمر بالقرب من المدينة، تلا ذلك عمليات حربية كبيرة استهلت بغزوة بدر.

شهدت المرحلة التي انتهت بغزوة الخندق عمليات هجومية من جانب قريش في بدر وأحد والخندق، وإثر ذلك تحولت قريش إلى الدفاع منهية بذلك ثلاث سنوات حافلة بالعمليات الهجومية، حيث انكفأت تدافع عن مكة، في حين أصبحت المبادرة بيد المسلمين.

لقد كانت القبائل الكنانية النازلة بين مكة والمدينة ترقب الموقف بين المدينتين، وربما شارك بعضها في بعض مراحل الصراع. فبعد غزوة بدر اقتضت خطة قريش سحب القبائل الكنانية إلى ساحة الصراع طالبة نصرتها، يذكر ابن إسحاق أنَّ قريشاً وهي تتهيأ لغزوة أحد أرسلت أبا عزة الجمحي الشاعر، فخرج يسير في تهامة، ويدعو بني كنانة للمشاركة في حرب المسلمين (١٠٠). أما الجانب الإسلامي فهو لا يدخل الصراع لذات الصراع، وإنما لإزالة عقبة كؤد تحول دون نشر الإسلام وتحاول القضاء على أتباعه في داره الجديدة المدينة النبوية، فغرض المسلمين الأساس وهم يقيمون أشكالاً من العلاقات مع القبائل المجاورة للمدينة نشر الإسلام. يتلو ذلك ضمان تأييد القبائل أو حيادها في الصراع مع قريش ؛ ولهذا عُقِدت موادعات مع بعض الفصائل القبلية الكنانية كبني ضمرة بن بكر وبني مدلج بن مرة بن عبد مناة (١٠١)، في خطوة يراد منها عزل قريش

---

(١٠٠) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، جـ ٣، ص ٤.

(١٠١) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٢/٢٢٤، ٢٣٦، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/٨، ١٠.

وتجريدها من المناصرين والحلفاء في النواحي الجنوبية الغربية من المدينة المنورة(١٠٢).

ولم يكن ديدن المسلمين تفعيل توترات معينة بين قريش وأي قبيلة أخرى، فقد جاء الإسلام ليطفئ نار العداوات والأحقاد الجاهلية، ولم يمد المسلمون جسورًا مع قوم ناقمين على قريش وهم على شركهم لأجل العدوان على قريش، كبعض الفصائل البكرية التي وُتِرت بقتل أحد سادتها(١٠٣) على يد أحد القرشيين كما سيأتي بيانه، أو كبني جذيمة بن عامر بن عبد مناة، وهي القبيلة الكنانية التي توترت علاقاتها بقريش بسبب مقتل عوف بن عبد عوف والفاكهة بن المغيرة في ديارهم، حتى همت قريش بغزوهم(١٠٤).

قريش وبكر الكنانية بين التخوف والتحالف:

لقد رأينا أنَّ العلاقات بين قريش وبكر الكنانية اتسمت أحيانًا بالتوتر والعداء، ورأينا أن بني بكر ليسوا من حلف الأحابيش المساند لقريش، وذكرنا أنّ بعض الفصائل البكرية ظلت محتفظة بذاكرتها وسخطها من قريش، وسوف نتعرض لموقف فصائل بكر من قريش وهي تخوض المواجهة مع المسلمين.

لا بد في البداية أن نشير إلى ما ورد في كتب المغازي والسير من أن قريشاً تخوَّفت من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة وهي سائرة لحرب المسلمين في بدر ؛ لذلك السبب الذي ذكرناه، وهو قتل مِكرَز بن حفص لعامر بن يزيد أحد سادات بني بكر.

يقول ابن إسحاق: ولما فرغوا من جهازهم (أي قريشاً) وأجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا، وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر كما حدثني بعض بني عامر بن لؤي عن محمد بن سعيد بن المسيب

---

(١٠٢) انظر: العُمري: السيرة النبوية الصحيحة، ص ٣٤٥، رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٣٢٧.

(١٠٣) انظر ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٢٤٨/٢.

(١٠٤) ابن هشام: المصدر نفسه، جـ٤، ص ٥٩، ٥٧، ابن حبيب: المنمق، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

في ابنٍ لحفص بن الأخيف، أحد بني معيص بن عامر بن لؤي، خرج يبتغي ضالةً له بضجنان وهو غلامٌ حَدَثٌ في رأسه ذُؤابة وعليه حُلة له، وكان غلاماً وضيئًا نظيفًا، فمر بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوح من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو بضجنان، وهو سيد بني بكر يومئذ، فرآه، فأعجبه، فقال: من أنت يا غلام ؟ قال: أنا ابن لحفص بن الأخيف القرشي. فلما ولى الغلام قال عامر بن يزيد: يا بني بكر، أما لكم في قريش من دم ؟ قالوا: بلى والله، إن لنا فيهم لدمًا، قال: ما كان رجلٌ ليقتل هذا الغلام برِجله إلا كان قد استوفى دمه، قال: فتبعه رجل من بني بكر، فقتله بدم كان له في قريش، فتكلمت فيه قريش، فقال عامر بن يزيد: يا معشر قريش، قد كانت لنا فيكم دماء فما شئتم: إن شئتم فأدوا علينا ما لنا قبلكم، ونؤدي ما لكم قبلنا. وإن شئتم فإنما هي الدماء رجل برجل ؛ فتجافوا عما لكم قبلنا، ونتجافى عما لنا قبلكم. فهان ذلك الغلام على هذا الحي من قريش، وقالوا: صدق رجلٌ برجل، فلهوا عنه. فلم يطلبوا به، قال: فبينما أخوه مكرزُ بن حفص بن الأخيف يسير بمر الظهران، إذ نظر إلى عامر بن يزيد بن عامر بن الملوَّح على جمل له، فلما رآه أقبل إليه حتى أناخ به وعامر متوشحٌ بسيفه، فعلاه مكرز بسيفه حتى قتله، ثم خاض بطنه بسيفه، ثم أتى به مكة، فعلّقه من الليل بأستار الكعبة، فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد بن عامر معلقاً بأستار الكعبة، فعرفوه، فقالوا: إن هذا لسيف عامر بن يزيد عدا عليه مكرز بن حفص فقتله، فكان ذلك من أمرهم. فبينما هم في ذلك من حربهم حجز الإسلام بين الناس ؛ فتشاغلوا به، حتى أجمعت قريش المسير إلى بدر، فذكروا الذي بينهم وبين بني بكر ؛ فخافوهم. هذا الخبر من روايات ابن إسحاق التاريخية الضعيفة (وفق مقاييس المحدثين)(١٠٥)؛ إذ إن من روى عنه ابن إسحاق الخبر غير معروف، وقد أورد الواقدي(١٠٦) وابن حبيب(١٠٧) أخباراً قريبة من هذا الخبر مع اختلاف يسير، لكن حقيقة تخوف قريش من بني

---

(١٠٥) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، جـ ٢، ص ٢٤٨ – ٢٤٩.

(١٠٦) المغازي ، ٣٨/١. وانظر: البلاذري: أنساب الأشراف، ٤٩٤/١ – ٤٩٥.

(١٠٧) المنمق في أخبار قريش، ص ١٣١ – ١٣٢، وقد أورد الخبر ابن حجر في شرحه لقول النبي ﷺ عن مكرز بن حفص في الحديبية، «هو رجل فاجر »، فتح الباري، جـ ٥، ص ٣٤٢.

بكر وردت بها عدة روايات عن ابن إسحاق وغيره عند بعض المفسرين(١٠٨) وكتاب المغازي والسير، وبينها روايات سندها صحيح إلى عروة بن الزبير(١٠٩).

كذلك روى بعض كتاب المغازي كالواقدي (١١٠) وأبي معشر المدني(١١١) روايات يفهم منها أن قريشاً تخوفت من بكر قبل بدر، وبالرغم من ضعف الواقدي وأبي معشر عند علماء الجرح والتعديل(١١٢)، إلا أن ما ذكراه في هذه النقطة يقوي رواية ابن إسحاق التي صرح فيها بالسماع من يزيد بن رومان عن عروة، وفيها: « قال عروة: لما أجمعت قريش على المسير (إلى بدر) ذكرت ما كان بينها وبين بني بكر، فكاد ذلك يثنيهم »(١١٣). والحاصل أن تخوف قريش قبل المسير إلى بدر من قبيلة بكر (أو من بعض فصائلها كما سنبين) من المسائل التي تضافرت عدة روايات على إثباتها.. كما أن تردد بعض زعماء(١١٤) قريش في السير نحو بدر وإظهار الرغبة بالرجوع لمكة يؤكد وجود مثل تلك المخاوف، لكن يقابل تخوف قريش من بكريين يبحثون عن ثأر لهم في تلك الظروف وجود زعامات بكرية مشاركة لقريش في بدر وما تلاها، إذ شارك زعيم بني الديل نوفل بن معاوية قريشاً(١١٥)، ومشاركة الزعيم ليست كمشاركة أحد الأفراد العاديين، إذ تعبر تلك المشاركة عن تحالف بين قبيلتين، وشارك بكريون آخرون إلى جانب قريش

---

(١٠٨) انظر الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، جـ ١٠، ص ١٥.

(١٠٩) انظر رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٣٣٩، أحمد العلمي باوزير: مرويات غزوة بدر، ص ١٣٠ - ١٣١.

(١١٠) انظر المغازي: ٣٧/١.

(١١١) انظر روايته عند الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، جـ ٩، ص ١٥.

(١١٢) الواقدي ضعيف يحتاج إليه في الغزوات والتاريخ كما يقول الذهبي، ويقول ابن تيمية: إنَّه من أعلم الناس بتفاصيل المغازي. راجع: سير أعلام النبلاء، ٤٦٩/٩، الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص ٩٧، وأبو معشر هو نجيح السندي الهاشمي مولاهم المدني، قال ابن معين: ليس بقوي، وقال أحمد: كان بصيراً بالمغازي.. انظر: الذهبي: ميزان الاعتدال، ٢٤٦/٤

(١١٣) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٢٥٠/٢. والإسناد صحيح إلى عروة لكنه مرسل، انظر: العليمي: مرويات غزوة بدر، ص ١٣٠.

(١١٤) مثل عتبة بن ربيعة وغيره. انظر ابن هشام: المصدر نفسه، ٢٦٣/٢. وقد جاء عند ابن حجر نقلاً عن الواقدي «أن عتبة بن ربيعة قال لقريش: كيف نخرج من مكة وبنو كنانة خلفنا، لا نأمنهم على ذرارينا ؟». فتح الباري ٣٤٢/٥. وهذا القول بنصه غير موجود في كتاب المغازي المطبوع.

(١١٥) انظر الواقدي: المغازي ٤٢/١، ٩٦، ١٢٤، ٤٧٠/٢.

في بدر وأحد، مثل قباث بن أشيم(١١٦)، ومثل أبي بكر بن شعوب(١١٧).. ثم بعد أربع سنوات من غزوة بدر وإثر صلح الحديبية، تذكر المصادر أن بني بكر - دون تحديد - تواثبت « فقالوا نحن في عقد قريش وحلفهم»(١١٨). ولعل قراءة النص بدقة تسمح بالقول: إنَّ البكريين المتواثبون بمقالتهم تلك أكدوا على وضع كان قائماً منذ زمن(١١٩)، وإزاء ذلك فنحن أمام ما ينبئ عن وجود موقفين داخل القبيلة إزاء العلاقة مع قريش، هناك بكريون موتورون يبحثون عن الثأر، كما أنَّ هناك من قبيلة بكر من التحم مع الموقف القرشي وامتزج فيه.. وفي سبيل الوصول إلى تحديد هذا الطرف وذاك لا بد أن نضع بين أعيننا أنَّ بكر بن عبد مناة في زمن مواجهة قريش للمسلمين بل وقبل ذلك لم تكن تلك القبيلة المُتَمَاسِكة الفروع، فبين بعض فصائلها علاقات عدائية كما بين ليث والديل(١٢٠)، وليث وغفار، حتى تحالفت غفار مع أسلم الخزاعية، وفي ذلك يقول أميه بن الأسكر سيد بني جُنْدع بن ليث موجهاً عتابة لسيد غفار رحضه بن خزيمة: قد طبت

نفساً عن مواليك يا رحضا وآثرت أذناب الشوائل والحمضا(١٢١)

وهكذا تبدو بكر بن عبد مناة قبيلة غير موحدة الصفوف بسبب الصراع الداخلي بين فصائلها وانقسامها إلى أفخاذ وبطون وانتشارها في أمكنة متعددة، ومن الصعب القول: إن للقبيلة مواقف موحدة تجاه كل الأحداث، وإن هناك قدرًا من التنسيق بين الفصائل عند بناء العلاقات مع الأطراف الأخرى، وأمر آخر لا بد أنْ نضعه أمامنا، وهو أن الرواة قد

---

(١١٦) شهد بدراً مع المشركين. انظر الواقدي: المصدر نفسه ٩٧/١، البيهقي: دلائل النبوة، ١٥٠/٣.

(١١٧) انظر ما قاله في رثاء المشركين ببدر وحمايته لأبي سفيان في أحد، ابن هشام: المصدر السابق، ٤٠٠/٢، ٢٠/٣.

(١١٨) ابن هشام: المصدر السابق، ٣ / ٣٦٦.

(١١٩) على غرار تحالف خزاعة مع المسلمين والذي كان له جذوره التاريخية حيث علاقة التعاون السابقة والتحالف بين خزاعة وعبد المطلب جد النبي ﷺ. انظر: ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ٨٦.

(١٢٠) انظر الأصبهاني: الأغاني ٢١ /١٦٣.

(١٢١) المصدر نفسه ١٦/٢١. وقد أدى تحالف غفار مع أسلم إلى اتخاذ أسلم الموقف الذي اتخذته غفار من الدعوة يفهم ذلك مما جاء في حديث أبي ذر الغفاري « ... وجاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله، إخوتنا، نسلم على الذين أسلموا عليه.. ». مسلم: الجامع الصحيح ١٩٢٣/٤، وعن رحضة بن خزيمة ، انظر: ابن حجر: الإصابة ٥١٣/١.

يَنْزِعُون أحياناً إلى التعميم وعدم التحديد(١٢٢)، وقد ينسبون حدثاً إلى جماعة قبلية كبيرة(١٢٣)، وإنما يرادُ جزءٌ من تلك القبيلة يدرك من خلال تتبع الأحداث وفهم الظروف المحيطة بالحدث جرياً على الأساليب العربية في استعمال المجاز المرسل، إذ تستخدم الكلمة ذات الدلالة الكلية، ويراد بها جزء من ذلك الكل.

وبعد هذه المقدمة، سوف نحاول الإجابة على التساؤلين الآتيين: أي الفصائل البكرية تخوفت قريش منها قبل بدر؟ وأي هذه الفصائل تحالفت معها بعد صلح الحديبية؟ من خلال الفقرتين التاليتين.

ممن تخوفت قريش ؟

من الواضح أَنَّ ليثاً خاصة عشيرة بني الملوح الليثية هم الذين وُتروا بقتل سيدهم عامر بن يزيد بن الملوح غدراً على يد مكرز بن حفص العامري القرشي كما مر بنا. ومن الطبعي والحال ما ذكرنا أن تعدهم قريش وهي تزحف شمالاً نحو المدينة مصدر خَطَر على مكة، «وأن تخشى أن يأتوهم من خلفهم»(١٢٤)، الكديد وهي من مواطنً بني الملوح(١٢٥) لا تبعد عن مكة سوى ٦٠ كيلاً(١٢٦)، وضجنان - وكان بها مقام عامر بن يزيد(١٢٧) - لا تبعد عن مكة سوى ٥٤ كيلا(١٢٨). وعلى هذا فإنَّ قريشاً لم تكن متخوفة إلا من عشيرة بني الملوح الليثية ومن يناصرها من قبيلتها الفرعية

---

(١٢٢) انظر مثلاً قول ابن إسحاق في سياق أحداث غزوة حمراء الأسد: « وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله.. ». ولا شك أن من بطون خزاعة التي لا يمكن أن توصف بذلك - قبل إسلامها - بني المصطلق الخزاعيون وقد غزاهم رسول الله ﷺ. انظر: ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ص ٥٣، ٣٣٣.

(١٢٣) كقول الواقدي وهو يسوق قصة تخوف قريش من بكر: « وكان الذي بين بني كنانة وقريش ». ثم يسوق الرواية بسنده، وهو يريد ما بين رهط عامر بن يزيد بن الملوح الليثي البكري وبين قريش. انظر المغازي، ٣٨/١ - ٣٩.

(١٢٤) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٢٤٨/٢.

(١٢٥) بنو الملوح هم رهط عامر بن يزيد كما هو واضح من سياق نسبه. انظر: ابن هشام، المصدر السابق، ٢٤٩/٢، وعن منازلهم انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١٢٤/٢.

(١٢٦) انظر البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٢٦٣.

(١٢٧) ابن هشام، المصدر السابق، ٢ / ٢٤٨، ابن حبيب: المنمق، ص ١٣١.

(١٢٨) البلادي: معجم معالم الحجاز، ١٨٩/٥.

ليث(١٢٩). وإذا كانت بعض مصادر السيرة أشارت إلى أَنَّ قريشاً قد تخوفت من بكر عامة فهو من قبيل إطلاق الكل، ويراد به الجزء(١٣٠)؛ ذلك أن بقية بطون بكر، إما بعيدة عن مكة وليست بمكان تتمكن فيه من الهجوم المباغت عليها كضمرة، أو أنها مؤيدة لقريش ومرتبطة مصلحيًا بها، وهذا يَنطبق على بني الديل، وقد كان زعيمهم نوفل بن معاوية مع قريش في بدر مؤيِّدًا لقريش داعماً لحملتها ضد المسلمين ومشاركاً في الحرب(١٣١)، وهذا الموقف المؤيد لقريش من جانب بني الديل لم تكن إحدى فصائل ضمرة - وهي غفار - بعيدة عنه في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الصراع، إذ كان الجانب القرشي يتمتع بإمكانيات اقتصادية مع الوفرة البشرية، وكان ذلك مما يرشحه لكسب المعركة ؛ مما حدا ببعض زعماء غفار أن يعرض على قريش الإمداد بسلاح ورجال(١٣٢)، في خطوة تمثل تأييدًا رمزيًّا لقريش، وهو موقف لم يستمر.

البكريون المتحالفون مع قريش:

كان من بنود صلح الحديبية «أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة، فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم»(١٣٣). وإزاء إفادة الرواية بدخول بكر في عقد مع قريش عام الحديبية سنة ست من الهجرة نتساءل: هل يمكن أن تكون بكر كلها متحالفة مع قريش آنذاك؟ وليس ما يثير الاعتراض لنص ابن إسحاق كون قريش تخوفت بكراً في بدر وكون بعض فصائل القبيلة ما تزال تطالب بدم سيدها عامر بن يزيد بن الملوح الليثي، فالعداوات والتحالفات بين القبائل العربية من الظواهر غير المستقرة.

---

(١٢٩) هناك ليثون بكريون كانوا مع قريش في حربها للمسلمين في بدر وأحد كما مر بنا، مثل الشاعر أبي بكر بن الأسود بن شعوب الليثي الذي دافع عن أبي سفيان وحماه يوم أحد، ومثل قباث بن أشيم. انظر: ابن هشام، المصدر السابق، ٣/٢٠ -٢٣، البيهقي: دلائل النبوة، ٣/١٥٠.

(١٣٠) وهو من المجاز اللغوي نحو قوله تعالى: ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ والمراد أناملهم. انظر: صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ص ٣٢٩.

(١٣١) انظر الواقدي: المغازي ١/٣٢، ٥٥، ٩٥، ١٢٤، ١٤٦ مثلاً.

(١٣٢) ابن هشام: المصدر السابق ٢/٢٦١.

(١٣٣) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ ٣/٣٦٦.

لكن هناك معطيات وأوضاع تجعلنا نقول: إنَّ بني بكر كلها لا يمكن أن تكون متحالفة مع قريش، ومن ذلك:

ـ أن الفروع الشمالية لبكر المجاورة للمدينة ارتبطت بعقد موادعة مع المسلمين، فجموع ضمرة التي يتزعمها مخشي بن عمرو بينها وبين المسلمين كتاب موادعة، يضمن ألاَّ يكثروا على المسلمين جمعاً، ولا يعينوا عدواً (١٣٤)، وغفار من القبائل البكرية التي انتشر فيها الإسلام في وقت مبكر، إذ أسلم فريق منهم بدعوة أبي ذر، ثم تكامل إسلامهم بعد مقدم النبي ﷺ المدينة(١٣٥). أما الليثيون في الأبواء وودان ويمثلهم الصعب بن جثامة وأخوته، فقد أسلموا قبل الحديبية، وشاركوا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر بعد الحديبية بشهرين(١٣٦).

ـ أما بنو الملوح بالكديد وهي منطقة قريبة من مكة فمنطق الأحداث يدل على أن تلك العشيرة الليثية لا يمكن أن تكون قد دخلت في تحالف مع قريش فيما بعد الحديبية وإلى فتح مكة، فهي عشيرة قد وُتِرت بقتل سيدها عامر بن يزيد بن الملوح، وذلك على يد مكرز بن حفص العامري القرشي، ومن ثم أصبحت هي المعنية بطلب الثأر، وليس هناك من الروايات ما يدل على أن قريشاً قد صالحت هذه العشيرة بدفع الدية مقابل دفن القضية.

وإذا وضعنا بعين الاعتبار أنّ الواقدي وهو مؤرخ عنيّ بضبط تواريخ الغزوات والوقائع النبوية، ومثله ابن سعد، يذكر أن سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح إنما كانت في صفر من السنة الثامنة ؛ أي قبل أن تنقض هدنة الحديبية، وإنما بدأ الحديث بين قريش وحلفائهم في نقض الهدنة في شعبان من السنة الثامنة كما يذكر الواقدي وابن سعد(١٣٧). فلو كان بنو الملوح ممن دخل في عقد مع قريش لما أرسلت إليهم تلك السرية، وقد عُرف المسلمون بالالتزام ببنود الصلح، فقد رد المسلمون أبا بصير وقد جاء مسلماً من قريش ؛ لأن في بقائه بالمدينة إخلالاً ببعض

---

(١٣٤) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/٩٨.

(١٣٥) مسلم: صحيحه ٣/١٩٢٢.

(١٣٦) انظر: ابن الأثير: أسد الغابة، جـ٣، ص١٩، ابن حجر: الإصابة ٣/٣٣٢.

(١٣٧) انظر: المغازي ٢/٧٨٣، الطبقات الكبرى ٢/١٣٤.

شروط الصلح.

هذا إذا أخذنا بما ذهب إليه الواقدي وتابعه فيه ابن سعد والبلاذري(١٣٨)، وفي جعل سريه الكديد في صفر من السنة الثامنة، وكذلك إذا وضعنا بعين الاعتبار أن البيهقي(١٣٩) جعلها بعد خيبر وقبل عمرة (القضية) ؛ أي فيما بين صفر وذي القعدة من العام السابع للهجرة، وتابعه في ذلك ابن كثير(١٤٠)، لكن خليفة بن خياط ذكر بعث غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح في حوادث السنة الخامسة(١٤١). ويفهم من ذلك أسبقيتها على الصلح، وعلى أي حال فإن كون هذه السرية إلى بني الملوح بعد فتح خيبر أو في صفر من السنة الثامنة ـ وهو ما رآه بعض المؤرخين والحُفَّاظ ـ يدل على أن بني الملوح لم يدخلوا في تحالف مع قريش بعد الحديبية.

وإذا كانت القبائل البكرية التي أشرنا إليها لا يمكن أن تكون متحالفة مع قريش بعد الحديبية فمن هي يا ترى تلك القبيلة البكرية التي اتفقت مصالحها مع مصالح قريش ؟ أمامنا قبيلة بكرية كنانية مجاورة لقريش، حيث تتمركز قرب مكة، ولزعيمها وقائدها مشاركة فعالة في حروب قريش، سبقت الإشارة إليها، تلك القبيلة هي قبيلة بني الديل، وثمة عدد من المؤشرات والدلائل التي تجعلنا نميل إلى القول: إنها هي القبيلة التي تحالفت مع قريش عام الحديبية، وهناك روايات يفهم منها أن أحد البطون الرئيسة لبني الديل ـ هم بنو نفاثة ـ هم حلفاء قريش.

ومن تلك المؤشرات والدلائل ما يلي:

إذا كان ابن إسحاق وكُتَّاب المغازي الآخرون عندما تعرضوا لمن تحالف مع قريش إثر كتابة صلح الحديبية اكتفوا بالقول: «إن بكراً تواثبت، وقالت: نحن في عقد قريش » دون تحديد أولئك النفر الذين تواثبوا وحالفوا قريش، فإننا نلمس قدراً من التحديد عندما نُقَلِّبُ الصفحات، ونأتي إلى الأحداث التي سبَّبت فتح مكة.

---

(١٣٨) أنساب الاشراف ١/٣٧٩.

(١٣٩) دلائل النبوة ٤/٢٩٠، ٢٩٨.

(١٤٠) البداية والنهاية ٤/٢٢٠، ٢٢٢.

(١٤١) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٧٨.

يقول ابن إسحاق: « لما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بني بكر.. وأرادوا أن يصيبوا ثأرهم من خزاعة.. ؛ فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل وهو يومئذ قائدهم، وليس كل بني بكر تابعه..» (١٤٢).

والواقدي يذكر عن الركب الخزاعي الذين سار إلى المدينة ليخبر النبي ﷺ بالعدوان عليهم قولهم: « تهمتنا بنو نفاثة»(١٤٣). ويذكر عن أحد رجالات قريش قوله عن بني نفاثة الديليين « هم حلفاؤنا فلا نبرأ من حلفهم..»(١٤٤).

وقد ذَكَّر بنو نفاثة قريش وهم يعدون العدة للاعتداء على خزاعة (القريبة من مكة) ذَكَّروهم بدخولهم معهم في عقدهم وعهدهم(١٤٥)؛ أي: ذلك العهد والعقد الذي جاء بعد صلح الحديبية. وربما تزيد رواية الوليد بن مسلم الصورة وضوحاً عندما تبين أن بني نفاثة هم حلفاء أبي سفيان مثلما أن خزاعة حليفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنَّ نفاثه اعتدت على خزاعة (١٤٦).

وبناء على هذه الروايات والأخبار ومع الأخذ بعين الاعتبار ما ذكرناه من أن هناك معطيات وأوضاع تجعلنا نقول: إنَّ قسماً من قبائل بكر بن عبد مناة لا يمكن أن تكون قد دخلت في تحالف مع قريش إِثْرَ كتابة صلح الحديبية، فإنَّ من المؤكد أنَّ القبيلة المتحالفة مع قريش من قبائل بكر الكنانية هم بنو الديل الذين قادهم وتزعمهم «نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر»(١٤٨). ولا يناقض ذلك ما أوردته بعض المصادر من أخبار يفهم منها أن بني نفاثة وحدهم هم

---

(١٤٢) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، جـ٤، ص ٤.

(١٤٣) بنو نفاثة: بطن من بطون الديل، ومن البطون الأخرى « بنو عبد بن عدي » ومنهم الشاعر الذي هجا النبي ﷺ أسيد بن أبي أناس، وهم الذين وفد منهم رهط إلى المدينة، وكان مما قالوا للنبي ﷺ: «لو قاتلك غير قريش قاتلنا معك، ولكنا لا نقاتل قريشاً ». انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٠٦/١، الصالحي: سبل الهدى والرشاد: ٥٥٧/٦، ابن الأثير: أسد الغابة، ٣٥٢/١.

(١٤٤) المغازي، ص ٧٨٦.

(١٤٥) المصدر نفسه، ص ٧٨٣.

(١٤٦) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، المغازي، تحقيق محمد محمود حمدان، ص ٤٤١.

(١٤٧) انظر ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٤/٤.

(١٤٨) انظر نسبه عند ابن حجر: الإصابة، ٥٧٨/٣.

المتحالفون مع قريش؛ لأن النفاثيين جزءٌ من بني الديل وفيهم قيادة القبيلة وزعامتها(١٤٩). وعلى أي حال فإن التحالف بين قريش وبني الديل بعد الحديبية لم يفد النظام الوثني بمكة وهو يواجه أعراض الزوال بشيء، بل كان عبئاً عليه، فقد جر بنو الديل حلفاءهم للمشاركة في العدوان على خزاعة بالوتير؛ مما كان سبباً في الفتح الإسلامي لمكة.

تضاؤل نفوذ قريش بين قبائل بكر غير المحالفة لها:

إن توثق العلاقة بين قريش وجزء من بكر هم بنو الديل ذلك التوثق الذي أفصحت عنه الأحداث التي مهدت لفتح مكة، لا يغطي ظاهرة ضعف نفوذ قريش وسلطانها على بقية القبائل البكرية النازلة بالقرب من طريق مكة ـ المدينة، والمواجهة للساحل، وجاء ضعف نفوذ قريش موازياً لضعفها العسكري والاقتصادي ومواكباً لنمو أمة الإسلام الناشئة، لقد بدأ نفوذ قريش ينحسر ويتراجع في مناطق بكر الشمالية وكذا في منازلها القريبة من الساحل، إذ أصبحت تلك المناطق غير آمنة بالنسبة لقريش يتجلى ذلك في قول صفوان بن أمية قبل سرية القردة في جمادى الآخرة سنة ثلاثة من الهجرة: إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا فما ندري كيف نصنع بأصحابه؟ لا يبرحون الساحل وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه»(١٥٠).

لقد كانت قبيلة ضمرة البكرية تملأ تلك المناطق التي أشار إليها صفوان بن أمية ؛ ولهذا ذكر بعض العلماء أن سيف البحر ـ أي الساحل ـ هي بلادهم(١٥١)، يجاورهم بعض القبائل كجهينة(١٥٢). وعندما كان أبو بصير يعمل وحده ضد قوافل قريش عند العيص بجوار ساحل البحر الأحمر(١٥٣) لم تجد قريش حليفاً أو نصيراً من قبائل المنطقة بما فيها فروع بكر

---

(١٤٩) يذكر الإخباريون أن معاوية بن عروة والد نوفل قاد بني الديل في حرب الفجار. انظر: ابن الأثير: أسد الغابة، جـ ٥، ص ٤٧.

(١٥٠) الواقدي: المغازي، ١/١٩٧.

(١٥١) انظر: أبو بكر الحازمي الهمداني: عجالة المبتدي وفضالة المنتهى في النسب، ص ٨٣، ومن منازل ضمرة قرب ميناء الجار، البزواء. انظر ياقوت: معجم البلدان ١/٤١١.

(١٥٢) انظر، البكري: معجم ما استعجم، ١ /٣٧.

(١٥٣) انظر: ياقوت: المصدر السابق، ٤/١٧٣، محمد شراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ٢٠٤.

الشمالية (١٥٤)؛ مما يدل على اضمحلال نفوذ قريش في المنطقة مبكراً.

لم يضعف نفوذ قريش في ديار ضمرة فحسب، بل إنَّ ليثاً هي الأخرى أخذت تنأى بنفسها عن قريش، وعلى كلٍّ فإن لضعف نفوذ قريش بين القبائل البكرية عدا الديل عوامل عديدة، أبرزها ما يلي:

١ ـ انتشار الإسلام بين فروع بكر الشمالية المجاورة للمدينة، وتعد غفار من أوائل القبائل خارج مكة التي انتشر فيها الإسلام منذ وقت مبكر بجهود أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ حيث وفد على النبي ﷺ وهو في مكة، ثم عاد إلى قومه غفار، ودعاهم إلى الإسلام، جاء في رواية أخرجها مسلم أنه دعا قومه فأسلم نصفهم، وأسلم نصفهم الباقي بعد مقدم النبي ﷺ المدينة (١٥٥).

وأسلم من غفار في وقت مبكر أبو رهم، كلثوم بن الحصين الغفاري الذي استخلفه النبي ﷺ على المدينة مرتين(١٥٦)، وسُبَاع بن عُرفطة الغفاري الذي استعمله النبي على المدينة لما خرج إلى خيبر وإلى دومة الجندل(١٥٧)، وخُفَاف بن إيْمَاء بن رَحَضة الغفاري من بيت الزعامة بغفار. والذي تبين بعض المصادر أن زعماء قريش تلقوا إسلامه بحسرة ؛ يفهم هذا من قول أبي سفيان لما سمع بإسلام خُفَاف قال: «لقد صبا الليلة سيد بني كنانة»(١٥٨). وانتشر الإسلام بين بني ليث(١٥٩)، فأسلم من تلك القبيلة البكرية عدد من الزعماء والكفاءات القيادية، من أبرزهم الصعب بن جثامة الليثي الذي كان ينزل ودان والأبواء، وهو من بيت الزعامة في ليث بن بكر ؛ فقد قاد والده جثامة بن قيس بني بكر في حرب الفجار في يوم شَرِب(١٦٠)، ولعل مكانته والرغبة في كسب الفصيل القبلي الموالي له ؛ مما حفزَ حرب بني أمية على أن يزوجه زينب أخت أبي سفيان، وهي أم

---

(١٥٤) شاركت جموع من غفار أبا بصير في تعرضه لقوافل قريش. انظر: البيهقي: دلائل النبوة، جـ ٣.

(١٥٥) مسلم: صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، ٤/١٩٢٢.

(١٥٦) ابن الأثير: أسد الغابة، ٤/٢٥٤.

(١٥٧) ابن الأثير: المصدر نفسه، جـ٢، ص ٢٥٩.

(١٥٨) ابن الأثير: المصدر نفسه، ٢/١١٨.

(١٥٩) هناك ليثيون يعدون من المسلمين الأوائل ومن السابقين إلى الإسلام وهم بنو البكير حلفاء بني عدي وهم خالد وعامر وعاقل وإياس. ابن هشام: سيرة النبي ﷺ: ١/٢٧٣، ٢٧٤.

(١٦٠) ابن حبيب: المنمق، ص ١٨٢، انظر: ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص ١٨١.

الصعب بن جثامة(١٦١).

إن إسلام الصعب ـ رضي الله عنه ـ وبحكم ما له من نفوذ وشرف سوف يترك صداه على زعماء قريش، إذ يفقدهم زعيماً يقيم في منازل ومواضع تمر بها قوافلهم.

ومن الكفاءات القيادية الليثية التي انضمت إلى المسلمين غالب بن عبد الله الليثي الذي قاد بعض السرايا النبوية إلى المِيفعه والكديد وإلى بني مرة(١٦٢)، ونُمَيلة بن عبد الله الليثي الذي استعمله النبي ﷺ على المدينة لما خرج للحديبية، وكذلك لما خرج ﷺ إلى خيبير(١٦٣).

لقد أقبل بنو ليث على الإسلام، وتحرروا من الدعاية القرشية ضد الدعوة، ومن مظاهر الإقبال على الدعوة أن يظهر فيهم متفقهون ومعلمون.. مثل مالك بن الحويرث الليثي الذي أقام عند رسول الله ﷺ عشرين ليلة مع مجموعة من أقرانه ثم قال لهم رسول الله ﷺ: ارجعوا إلى أهليكم ؛ فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم »(١٦٤). ومما يدل على أن نفوذ المسلمين في ديار بني ليث كان قوياً وأنَّ الزعامات الليثية لم يكن بمقدورها إظهار المعارضة للمسلمين بعد الخندق أن مقيس بن صبابه وهو من ليث لما ارتكب خيانته وارتد عن الإسلام لم يجد أمامه ملاذاً سوى مكة(١٦٥).

٢ـ ومن العوامل التي أثرت على علاقات قريش مع قبائل بكر بن عبد مناة انتصارات المسلمين وفشل قريش في محاولتها تدمير قاعدة الإسلام بالمدينة.. وكان من نتائج ذلك أن ضعف الولاء لقريش بين القبائل في

---

(١٦١) ابن الأثير: أسد الغابة، ١٩/٣. وعند البلاذري أن فاختته بنت حرب كانت عند جثامة الليثي. أنساب الاشراف، ق٤، جـ٧ تحقيق إحسان عباس، ص٥، وانظر ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٤ / ٤٢١.

(١٦٢) ابن حجر: الإصابة، جـ٣، ص ٣٣٢، انظر: الصالحي: سبل الهدى والرشاد ٢١١/٦، ٢١٧، ٢٢١.

(١٦٣) انظر ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٣٥٥/٣، ٣٧٨. وقد ورد عند الواقدي وابن الأثير أن رسول الله ﷺ استخلف على المدينة لما خرج إلى خيبير سباع بن عرفطة. انظر: المغازي ٦٣٦/٢، أسد الغابة ٢٥٩/٢.

(١٦٤) مسلم: صحيحه، كتاب المساجد، حديث رقم (٢٩٢)، جـ ١، ص ٤٦٦.

(١٦٥) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، جـ ٣، ص ٣٣٧، وانظر ص ٣٣٤، وكان أخوه هشام بن صبابة قد قتل خطأ في المربسيع أصابه رجل من المسلمين، فقدم مقيس إلى المدينة مظهراً إسلامه، فأخذ دية أخيه.. ثم عدا على قاتله فقتله، وهرب إلى مكة مرتداً.

تهامة الحجاز وما بين مكة والمدينة، أما المسلمون فقد أصبحوا قوة مهيبة يُخْشى بأسها، ففي غزوة بدر الثانية «أتى مخشي بن عمرو الضمري النبي ﷺ وكان قد وادعه المسلمون في غزوة ودان، فقال: يا محمد، أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم يا أخا بني ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك، فقال: لا والله يا محمد، ما لنا بذلك من حاجة»(١٦٦).

٣- أن الضعف الاقتصادي والحربي الذي منيت به مكة أيام سنوات المواجهة من العوامل التي أدت إلى انحسار الولاء لقريش عند القبائل والأعيان الذين ارتبطوا بعقود مع قريش على أن تحمل سلعهم مقابل المرور الآمن للقوافل التجارية ومن أولئك الأعيان أعيانٌ بكريون كانت لهم علاقات مع قريش فيما سبق(١٦٧)، فلما رأوا أن ميزان القوى يميل لصالح المسلمين بادروا إلى إظهار تأييدهم لهم، وكان ذلك مدخلاً لدخولهم الإسلام وتعمق الإيمان في قلوبهم، فعلى سبيل المثال قدم بعض أعيان غفار مئة شاة وجزوراً للمسلمين عام الحديبية أثناء مرورهم بالأبواء(١٦٨)، ومن قبل وبالتحديد في غزوة بدر أرسلوا إلى قريش وهم في بدر بجزائر هدايا لهم مع عرض بإرسال الرجال والسلاح(١٦٩). وهذان الموقفان يشيران إلى أنَّ التحول في ميزان القوى لصالح المسلمين تبعه تحول في مواقف أعيان القبائل إلى جانب الطرف الذي فرض هيبته السياسية والعسكرية في المنطقة.

---

(١٦٦) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٢٢/٣ ٢.

(١٦٧) يفهم ذلك مما يذكره اليعقوبي وابن حبيب وغيرهما أن زعماء قريش أخذوا الإيلاف من الملوك وأشراف القبائل. انظر اليعقوبي: تاريخه ٢٤٤/١، ابن حبيب: المحبر، ص ١٦٣.

(١٦٨) الواقدي: المغازي، ٥٧٧/٢.

(١٦٩) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ٢ /٢٦١.

الخاتمة

بدأ البحث بالتعريف بفروع بكر الكنانية وفصائلها ومنازلها من أجل إعطاء صورة عن أماكن انتشار القبيلة والتوزيع الجغرافي لفصائلها، ثم تناولت الدراسة العلاقات بين بكر وقريش قبل ظهور الإسلام مقدمةً لدراسة علاقتها بقريش أثناء المواجهة مع المسلمين.

وفي إطار مناقشة موقف فصائل بكر من قريش وهي تواجه المسلمين ناقشت الدراسة ما ذكرته بعض الروايات عن تخوف قريش من بني بكر بن عبد مناة قبل بدر. ورأى الباحث أنَّ ليثاً خاصة عشيرة بني الملوح هم الذين كانوا مصدر تخوف قريش، كما خلص الباحث إلى أنَّ بني الديل بن بكر هم البكريون الذين دخلوا في عهد قريش بعد الحديبية، وناقش البحث تضاؤل نفوذ قريش بين قبائل بكر غير المحالفة لها، وذلك بعد انتشار الإسلام في القطاع الجغرافي الذي تشغله فصائل بكر الشمالية وفشل قريش في تدمير قاعدة الإسلام بالمدينة وضعفها الاقتصادي والحربي.

والله الموفق،،

المصادر والمراجع

أ - المصادر:

ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ):
أسد الغابة في معرفة الصحابة، نشر المكتبة الإسلامية، بيروت (د، ت).
الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٣٨٥هـ
اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، ١٤٠٠ هـ.
الأزرقي: أبو الوليد (ت ٢٥٠ هـ).
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دار الأندلس، بيروت، ط ٣، ١٣٨٩هـ.
الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ):
الأغاني، دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٠ م
البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ):
صحيح البخاري، نشر المكتبة الإسلامية، تركيا (د، ت).
البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ):
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٤هـ
البلاذري: أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ):
أنساب الأشراف، ج١، تحقيق محمد حميد الله، القاهرة، ١٩٥٩م
أنساب الاشراف، ج٥، سائر فروع قريش، تحقيق، إحسان عباس، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ١٤١٧هـ.
البيهقي: أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ):
دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
ابن حبيب: محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ):
المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ.

المحبر: باعتناء الدكتورة إيلزه شتيتر، حيدر آباد، ١٣٦١هـ.

ابن حجـر: أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥١ هـ):

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، طبعه دار الفكر، بيروت، (د، ت).

ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦هـ):

جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر دار المعارف، ط٥، (د، ت).

الحموي: ياقوت بن عبد الله (٦٢٢ هـ):

معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

أبو داود: سليمان بن الأشعث: (٢٧٥ هـ)

سنن أبي داود، نشر المكتبة الإسلامكية، تركيا (د،ت)

ابن دريد: محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ):

الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١ بيروت ١٤١١هـ.

الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ):

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والإعلام - المغازي، تحقيق محمد محمود حمدان والكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، ط١، ١٤٠٥هـ.

الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ):

الجبال والمياه والأمكنة، تحقيق، إبراهيم السامرائي، بغداد (د،ت).

الزبيري: مصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦ هـ):

نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٦م

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ):

الطبقات الكبرى. دار صادر، بيروت ١٣٧٧هـ.

ابن سعيد: علي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ).

نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، الأردن، مكتبة الأقصى، ١٤٠٢هـ.

السكري: الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٧٥هـ):

شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار المعرفة،

القاهرة، (د، ت).

الصالحي: محمد بن يوسف (٩٤٢هـ):
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٢، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

الطبري: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ):
تاريخ الأمم والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، نشر دار سويدان، بيروت (د، ت).

الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ).
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عبد السلام تدمري، ط١، نشر دار الكتاب العربي ببيروت، ١٤٠٥ هـ.

ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ):
البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ.

النيسابوري: مسلم بن الحجاج، (ت ٢٦١هـ):
الجامع الصحيح، نشر المكتبة الإسلامية، تركيا، إستانبول، (د، ت).

ابن هشام: عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ)
سيرة النبي ﷺ، تحقيق محمد محيي الدين، دار التراث، القاهرة (د، ت).

الواقدي: محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ).
المغازي، تحقيق مارسدن جونس، ط٣، بيروت، ١٤٠٤هـ.

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨١ هـ).
تاريخ اليعقوبي، دار بيروت، ١٤٠٠هـ.

ب - المراجع:

البلادي: عاتق بن غيث البلادي:
معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٢هـ.
معالم مكة التاريخية والأثرية، دار مكة، ط٢، ١٤٠٣هـ.

معجم معالم الحجاز، دار مكة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ
الجاسر: حمد
في شمال غرب الجزيرة، الرياض: منشورات دار اليمامة، ط١، ١٩٧١هـ.
رزق الله: مهدي رزق الله أحمد.
السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، الرياض، نشر مؤسسة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ.
شراب: محمد محمد حسن:
المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، بيروت، الدار الشامية، ١٤١١هـ.
الصالح: صبحي:
مباحث في علوم القرآن، بيروت دار العلم للملايين، ط١٣، ١٩٨١م
العلي: صالح أحمد:
الحجاز في صدر الإسلام - دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
العمري: أكرم ضياء:
السيرة النبوية الصحيحة، المدينة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٢هـ.
العلي: صالح أحمد.
الحجاز في صدر الإسلام - دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
العمري: أكرم ضياء.
السيرة النبوية الصحيحة، المدينة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٢هـ.